سموه كلاما نفسيا وحكموا بمغايرته للعلم خلافا للمعتزلة والتحديد بان
الكلام حروف منظومة لا يستقيم في كلام الله لانه صفة ازلية قائمة
بذاته ليس من جنس الحروف والاصوات فمعنى كونه تعالى متكلما على طريقة
اهل اللغة انه محل للكلام لا انه يوجده كما يزعمه المعتزلة على قاعدة اللغة
في المشتقات كالمتحرك ومن هنا ينتظم برهان على اثبات الكلام النفسي
وفي التحديد الكلام هو المعنى القائم بذات المتكلم وهو المعنى الذي
يدبره المتكلم في نفسه ويعبر عنه بهذه الالفاظ المركبة عن الحروف
والى هذا ذهب ابن الرديكي(?) وابو الحسن الاشعري وهو اختيار الشيخ
ابو منصور الماتريدي وهو الصحيح المعول عليه وليس المراد بالمعنى القائم به
تعالى المدلولات اللغوية من الجواهر والاعراض بل المراد ما يفهم من العبارات
من المعنى المعلوم لتلك المدلولات ولا اختلاف بين الاشعرية والماتريدية
فانه تعالى متكلم بكلام نفسي هو صفة له تعالى قائمة به وانما الاختلاف
في انه متكلم لم يزل متكلما فعند اكثر متكلمي الحنفية معنى المكلمية اسماع
لمعنى اخلع نعليك مثلا ولا شك في انقضاء هذه الاضافة التي هي عرض(?)
خاصة للكلام القديم باسماعه المخصوص بانقضاء الاسماع وعند الاشعرية
ان المتكلمية والمكلمية مأخوذان من الكلام لكن باعتبارين مختلفين
فالمتكلمية باعتبار تعلقه ازلا بالمكلف بناء على ما ذهب اليه هو واتباعه
من تعلق الخطاب ازلا بالمعدوم واعلم ان ما اداه الانبياء الى اممهم مما
اخبر الله عنه او امر به او نهى عنه الى غير ذلك هو امور ثلثة معان معلومة
وعبارات دالة عليها معلومة ايضا وصفة يتمكن بها من التعبير عن تلك
المعاني بهذه العبارات لافهام المخاطبين ولا شك في قدم هذه الصفة
وكذا في قدم صور(?) معلومية تلك المعاني والعبارات بالنسبة الى الله
تعالى فان كان كلامه عبارة عن تلك الصفة فلا شك في قدمه وان كان
عبارة عن تلك المعاني والعبارات فلا شك ايضا انها باعتبار معلوميتها
لله قديمة ايضا لكن لا يختص هذا القدم بها بل يعمها وساير عبارات
المخلوقين ومدلولاتها لان كلها معلومة لله تعالى ازلا وابدا ولا يلزم
قدمها كما قال الحشوية فانا لا نلتزم كون كلام الله متعلقا بجميع الحوادث
حتى يدخل في عموم تعلق القران بجميع المتعلقات ساير الكتب الغش(?)
والاكاذيب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا علما انه المتكلمون من الكلام
النفسي ان كان عبارة عن تلك الصفة فحكمه ظاهر وان كان عبارة عن تلك
المعاني والعبارات المعلومة فلا شك ان قيامها به باعتبار صور معلوميتها

وليس

وليس صفة برأسه بل من جزئيات العلم والحاصل ان كنه هذه الصفة
وكذا ساير صفاته محجوب عن العقل كذاته تعالى فليس لاحد ان يخوض في
الكنه بعد معرفة ما يجب لذاته وصفاته والتمثيل بالكلام النفسي في الشاهد
انما هو للرد على المعتزلة والحنابلة في حصرهم الكلام في الحروف
والاصوات حيث قيل لهم ينتقض حصركم ذلك بكلامنا النفسي
فانه كلام حقيقة وليس بحرف ولا صوت واما الحقيقة فمباينة
للحقيقة كل المباينة ثم ان كلامه تعالى واحد غير متجزي فان كلا من الامر والنهي
والخبر والاستخبار مرجعه الى الخبر لان مرجع الامر الى تعريف المامور
استحقاق المدح على الفعل وتعريف المنهي استحقاق الذم على الفعل
وليس بعربي ولا عبراني ولا سرياني وانما العربية والعبرانية والسريانية
عبارات عنه وهذه العبارات حروف واصوات وهي محدثة في محالها
وهي الالسنة واللهات وعن سفيان الثوري انه قال لم ينزل وحي الا
بالعربية ثم ترجم كل نبي لقومه بلغتهم والمتأخرون منهم من قال بحدوث
اللفظ ومنهم من قال اللفظ قديم هو المتلو والتلاوة حادثة كما ان
ذكر الله باللسان احاديث قائم به دون المذكور الذي هو الله وهذا هو
المروي عن الشافعي وما يستدل به على حدوث الكلام بكونه مؤلفا من
اجزاء مترتبة في الوجود متقدم بعضها على بعض فمدفوع بجواز ان يكون
المتأخر مسبوقا بالمتقدم لا سبقا زمانيا كالكتابة التي يحصل مجموعها
معا في محل من طابع يكون فيه تلك الكتابة واستبعاد ترتب الحروف والكلمات
على الشاهد لعدم مساعدة الآلة واما في الغايب فيجوز ذلك وان كان
العقول البشرية قاصرة عن ادراك كنه هذا الامر وليس ذلك مثل تصور
حركة لا تقدم لبعض اجزائها على البعض وهو محال لان عدم امكان ذلك
التصور في الحركة التي هي اسم للحالة المخصوصة من حيث ترتب اجزائها
واما ذات تلك الحالة المسماة بالحركة فعند المتكلمين مركبة مما لا يتجزى
فيجوز ان يقع اجزائها في ان واحد وان لم يسمها اهل العرف في تلك الحيثية
حركة وقيل الكلام مركب من الحروف والحروف اما نفس الصوت او من عوارضه
وان الصوت حامله الهواء فظهر ان الكلام بمعزل عن وجوب عروضه للمتكلم
بل يكون محل الكلام غير المتكلم انما المتكلم محل التكلم ومعروضه فلم يتطرق
استحالة الى كون ما هو كلام الله حادثا مع انه يسهل تصحيح قدمه بان يقال
ما هو كلام الله هو النوع لا الشخص وقد تصفحت اقوال الاوائل والاواخر
في هذا المقام فما وجدت ما هو اقرب وانسب في تفهيم الانام سوى ما قاله

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)